القصص

صور من هوميروس

٢ ـ حروب طَرْوَادَة

باريس يعود

للأستاذ دريني خشبة

ـ « ألست تحن إلى وطنك ، وتتمنى لو ترى والديك ياباريس ؟ . . . »

ـ « وطني ووالدي ؟ »

ـ « . . . ؟ . . . »

ـ « وهل لي وطن غير هذه المروج الخضر ، ووالدان غير أبي الراعي وأمي المتداعية الفانية ؟ »

ـ « مسكين ! ! »

ـ « بل أسعد الناس بأن أكون ابنهما ! ولمه ؟ أليس أبي سيد هذه الفلوات ، وأمي أعز الأمهات ؟ »

ـ « ذلك حق لو أن أباك هذا الراعي يا باريس ! »

ـ « ماذا تعنين ؟ »

ـ « أعني أنك لست ابنه ؟ ... »

ـ « وَيْ ! لو لم تكوني ڤينوس لقتلتك ! »

ـ « الحق أقول أيها العزيز ! »

ـ « أنت تعذبينني ! ابن من إذن ؟ ... »

ـ « أترى إلى جمالك البارع ، وجسمك المشوق السمهري ؟ أيكون هذا الخلق من نسل الرعاة الأجلاف ؟ »

ـ « ..... ؟ ..... »

ـ « أتدور بك الأرض إذا علمت أنك ابن ملك ؟ ... »

ـ « سخرية وهزؤ ... إلام تقدمين فؤادي يا ربة الحسن والحب ؟ ألأني أعطيتك التفاحة الخالدة ؟ ... ... »

ـ « الآلهة لاتكذب يا باريس ! »

ـ « أنا ؟ ... أبي ... ملك ؟ ... هذا الراعي ؟ ! ملك ماذا ؟ »

ـ « ليس هذا الراعي قلت لك ! ! أنت لست ابنه ! أنت سليل الملوك ، الصيد ! ! ... ... »

ـ « إذن من عسى أن يكون أبي ؟ ... ... »

ـ « ملك طروادة ! ! ... ... »

ـ « ملك طروادة أبي ؟ ... پريام ؟ ! ... ... »

ـ « هو ... هُوَ ... ... »

ـ « هاهاها ... ... ومن جاء بي هنا ؟ سرقوني ؟ ... أليس كذلك ؟ ... ... »

ـ « لاتنس يا باريس أنك في حضرة ڤينوس ... وأقولها لك كرة أخرى : إن الآلهة لاتكذب ... أجل أنت ابن پريام ملك طروادة ... قيل له إنك تجر عليه ألواناً من العذاب فصدق ، وأرسل بك من تركك فوق جبل بعيد ، لتأكلك الذئاب ... كل هذا إذ أنت طفل صغير ... وليد ... ولقد عثر بك ذلك الراعي الذي تحسبه أباك ففرح بك وقال لامرأته : عسى أن يكون لنا منه ولد ... والآن ... لقد وعدتك زوجة جميلة ... أجمل امرأة في العالم ... فاذهب أولاً إلى طروادة ، والق أباك فانه سيعرفك ... سيعرفك لأن له أبناء خلقهم تخلقك ... وسيحدثه قلبه ... وتكلمه روحه أنك ابنه ... سيفرح بك پريام يا باريس ، وسيخفق قلب هكيوبا ... أمك التي تبكي من أجلك ، وتتمناك بنصف مُلْكها !

فاذا اطمأنوا بك ، ولبثت فيهم أياماً ، فأبدِ لهم رغبتك في الابحار إلى بلاد الأغريق في أسطول كبير ... ... إن ثمة المرأة التي وعدتك ... أجمل نساء العالم ... »

وغابت ڤينوس !

* * *

جلس باريس على صخرة تشرف على البحر المضطرب من جهة ، وعلى السفح العشوشب المصطخب بالحياة من جهة أخرى ، ثم أخذ يفكر فى كل كلمة انفرجت عنها شفتا ڤينوس ...

« ترى ؟ ! أصحيح ماقالته ڤينوس ؟ أصحيح أن پريام أبى ؟ ألا أنادى أبى الراعى بعد اليوم ؟ وأنت أيتها الشاه والنعم : أفراق لاتلقاء بعده ؟ وا أسفاه ! لم لقيت ڤينوس ؟ عزيز على أن أهجرك إلى الأبد أيتها البطاح ! وأنت أيتها السماء الحبيبة ؟ بمَ أستبدل قلائدك الدرية فى الليل ، وشمسك الدافئة ، وسحبك الموشاة بالذهب فى النهار ؟ ! ... ... »

الآلهة لا تكذب ! ! هكذا كانت تقول ڤينوس ! أنا إذن ابن ملك ! وأبى لابد أن يكون غرًّا ضيق العطن ، وإلا فلم صدق ماذكرته له الكهنة عنى ؟ طفل صغير يُنبذ بالعراء لتأكله السباع ! يالقساوة القلوب ، وتحجر الأكباد ؟ ! وأمى ؟ أين كانت أمى ؟ وأين كان قلب الأم فى هذه المرأة ؟ كيف سهل عليها أن تدعنى يُنطلق بى لأنبذ بالعراء ، فريسة لاحول لها لكلاب الجبل ، وطعمةً شقية لسباع البرية ؟ ! ... ... »

لا بد أن أذهب ! لابد أن أعلم حقيقة أمرى ! وداعاً أيها البحر ! وداعاً أيتها المروج ! يا كل شىء هنا ... وداعاً ! »

وانطلق لا يلوى على شىء ...

وكان أصدقاؤه الرعاة يلقونه فى الطريق فينكرون منه كل شىء ! ينكرون منه انقباضه وعهدهم به طلق المُحيّا لا يفارق المرح ثغره البسام ، وينكرون منه صمته الطويل وهو الثرثار الذى لا يقف لسانه ولا تسكن شفتاه ! وينكرون منه هذه النظرات العميقة الحزينة ، وهو ذو العينين الضاحكتين والجبين المشرق الطروب ...

وكان هو ينكرهم جميعاً كذلك ! أليس قد عرف أنه ابن ملك ؟ وابن أى ملوك العالم ؟ ابن ملك طروادة ! وهل أقوى وأعظم فى ملوك العالم من ملك طروادة ؟

وبرغم هذا الانكار كان الرعاة ما يبرحون يحبون باريس ويعجبون به ، وقد أحزنهم أن ينطلق فريداً وحيداً فى فلوات تتمدم فيها السباع وتهمهم الوحوش ، فذهبوا يقتصون أثره ، وكانوا له حرساً شديداً فى وحشة هذه البرية المخوفة ...

ووصل إلى طروادة ...

وجلس فوق هضبة مرتفعة قليلاً فنظر إلى المدينة الخالدة !

واجتمع حوله أصدقاؤه الأمناء الأوفياء يسألونه فيم جاء إلى هذا البلد ، ولم هجر قطعانه وأوطانه ، وهل فى أمره ... حب ... ؟

وطمأنهم باريس ، وزوّق لهم الأحلام والأمانى ، ووعدهم خيراً « لا ترى مثله عين ، ولا يخطر على قلب بشر »

ودخلوا المدينة ...

ويمموا ميدانها الرحب الفسيح ، حيث اجتمع خلق كثير يشهدون المهرجان الرياضى ، ويمتعون أنظارهم بشتى الألعاب التى يمارسها أبطال طروادة وما جاورها من القرى . ولبث باريس وأصحابه ينظرون إلى المتبارين ساعة ، ثم زهاهم الروح الرياضى فقدموا أنفسهم إلى الرئيس المشرف على الألعاب ، فأشركهم فى كثير من المباريات ...

ولقد برّز باريس على أقرانه ، وبذّ كل من تبارى معهم فى مضمار ، حتى لفت إليه أعين النظّارة وأصبح موضع إعجاب الحاضرين ...

وكانت الأسرة الملكية ، الملك وزوجه وأبناؤه وحاشيته ، يحدّقون فى الفتى مشدوهين مأخوذين ، وكانت الملكة خاصةً تحس كأن رباطاً روحانياً يجذبها إلى الناحية التى يجول باريس فيها ويصول ؛ بل كانت تشعر كأن الحديد الذائب فى عضلات البطل ، إنما يتدفق من عضلاتها هى ! وأعجب من ذلك جميعاً ، ذلك الحنان المتفجر فى قلبها ، وذاك الحب الحزين السادر الذى يغمرها كلّها من أجل هذا الغريب الفاجئ المجهول !

ولمحت كاسّندرا ، ابنة الملك ، ما كان يتتاب أمها من عواطف ، وكانت فتاةً بارعة الحسن ، مليحة الدل ، فينانةً رنّانة ؛ أعجب بها أپوللو فمنحها حبه ، وهام بها حتى لكان يعبدها عبادةً ، وهو الآله المعبود !

وكان ما يفتأ يباركها ويخلع عليها من نعمه ؛ فمن ذلك أنه وهبها القدرة على كشف الغيب ، والتنبؤ بما كان وما يكون ؛ فكانت تخبر الناس بماضيهم وحاضرهم وما يكون من مستقبلهم وهم يسمعون ويعجبون ...

ولكنها تاهت على أپوللو ودلّت ، وكانت أبداً تمنحه الجفاء والصدود ، وتُعرض عنه وهو المقبل عليها بروحه وقلبه وشعره وموسيقاه !

رجاها أبوللو أن تكون له ، وأن ترتضيه لها بعلاً ، ووعدها لقاء ذلك أن يبنى لها القصور الشماء فى قبة السماء ، وأن يحملها معه أبداً فى رحلاته العلوية فترى كل ما يدب على الأرض ، وأغراها بالتوسط لدى كبير الآلهة زيوس الأعظم فيمنحها الخلود وربما رفعها إلى صفوف الآلهة أنفسهم ... ... بيد أنها ما كانت لتزداد إلا شماساً وعنادا

ولما ضاق أبوللو بها ذرعاً ، صب جام غضبه عليها ، وسلّط عليها سخرية سامعيها ، فما تقول شيئاً ، ولا تتنبأ بشىء ، ولا تكشف غيباً ، إلا استهزأ بهـا الناس ، وعيروها بأنها تكذب وتهرف وتدعى ! . . .

فلما شاهدت ما كان من فورة الاحساس التى تجرف قلب أمها من أجل باريس ، ذكرت لها أن هـذا الشاب إن هو إلا أخوها الذى نبذوه بالعراء فوق الجبل لتأكله السباع ، وآيتها على ذلك هـذا التشابه الشديد بينه وبين أخيها هكتور وبينه وبين أبيها الملك . وحاجها قومها فأحضروا باريس ليطابقوا بينه وبين هكتور . . . ولكن ما كادت المطابقة تتم حتى أخذته هكيوبا فى حضنها الحنون المرتجف ، صائحة مستعبرة : « ولدى باريس . . ابنى باريس ... ولدى ... إلىّ إلىّ يا بنى ... ! ! » . أما الملك فقد بكى هو الآخر ، ونهض فعانق ابنه عناقاً طويلاً حاراً ، غاسلاً جبينه المتلألئ المشرق بدموع الاعتذار عن الماضى البعيد المحزن

ولما أخبرهم باريس أن ڤينوس ، ربة الحب والحسن ، هى التى هدته إلى مولده ومنشئه وكريم أرومته ، خر الملك وأهله لها ساجدين ... إلا كاسندرا

لقد عبست عبوسةً قاتمة ، وحدجت أخاها الغريب بنظرةٍ كالحةٍ ! ! ثم صاحت بالملك : « أبى ! لتحذر هـذا الأخ ... لتحذر باريس ... ولتذكر نبوءة الكهنة فى معبد أبوللو ... ... ابنك يجر الخراب على مملكتك ، ويعرض شعبك للدمار ، وينشر الموت فى بيوت رعاياك ! ! »

وهنا ينتقم أبوللو ، ويسخر من حبيبته الجافية !

لقد تضاحك الملك مستهزئاً ، وغمزت الملكة ابنتها ولزتها بكلام قارص ... أما هكتور ، فقد عبث بأخته ومازحها مزاحاً ثقيلاً ...

مسكينة كاسندرا !

حتى الحاشية استهزأت بها وأشعرتها الذلة والهوان ... !

كل ذلك والرعاة ... أصدقاء باريس ... يتفرجون ويعجبون ... ولا يفهمون ! !

الآلهة لا تكذب ! !

أفرخ روّع باريس إذن ! وصدق كل ما ذكرته ڤينوس !

ها هو ذا يعيش فى قصر منيف باذخ ؛ وها هو ذا ، لأول مرة فى حياته يخلع هذا الصوف الخشن الغليظ ، ليلبس من سندس أبيض واستبرق ! والولدان البيض كالتماثيل يطوفون عليه بأكواب الخمر من فضة ، وبصحاف الآكال من ذهب ! وشعب بأسره يطيع أباه ويطيعه ، وجيوش تصدع بأمره ، وأساطيل لجاب تملأ البحر ، إذا شـــاء أقلعت وإذا شاء أرست ؛ ؛ ؛ وملك وسلطان ، وتاج وصولجان ... ! !

لا تنقصه الآن إلا أجل فتاة فى العالم . . .

تلك الفتاة التى وعدته ڤينوس ! وما دامت الآلهة لا تكذب فأجل فتاة فى العالم هى من غير ريب فى بلاد الأغريق ... لأن ڤينوس أوصته بوجوب الابحار إليها ... وهل أجل من حسان اسپرطة فى بلاد الاغريق ؟! إنهم قوم يعبدون الجمال واعتدال القوام

إذن ، فليبحر باريس إلى اسپرطة ! !

(لها بقية)

دريني خشبة

فى حفلة استقبال سمو الأمير سعود

يقال إنه كان للهدية الثمينة التى انفرد بتقديمها أحد كبار الهنود بمصر . حضرة السيد بير شريف على المدنى صاحب فابريقة سجاير ملوك الهند وفخر العرب ، من بين المحتفلين بقدوم سمو الأمير سعود بالوكالة العربية بالقاهرة وقد نالت عنـد سمو الأمير حسن القبول والاعجاب فتناولها شاكراً وأثنى على صاحبها مما لفت نظر جميع المحتفلين بسموه وجعلهم يتحدثون بشأنها ، ونذرة هـذا النوع من الهدايا إذ لا وجود له إلا بين قصور الملوك والأمراء وخاصة فى الهند مما روته الصحف فى حينه يوم الحفل من الأسبوع الماضى ؟